كلمة الحياة

نيسان/ أبريل 2023

"اِرغَبوا في الأُمورِ الَّتي في العُلى، لا في الأُمورِ الَّتي في الأَرض" (كولوسّي 3، 2)

ما إن نشأَت الجماعات المسيحيّة الأولى حتّى بدأَت تظهر التناقضات نتيجة الشروحات الخاطئة للرسالة الإنجيليّة. وفيما بولس في السجن، عَلِم بهذه المشكلات في كولوسّي، وهذا ما كتبه إلى هذه الجماعة.

تُفهَم كلمة حياة هذا الشهر بشكل أفضل إذا ما قُرِأَت من داخل المقطع الذي وردَت فيه: "أَمَّا وقد قُمتُم مع المسيح، فاسعَوا إلى الأُمورِ الَّتي في العُلى حَيثُ المسيحُ قد جَلَسَ عن يَمينِ الله. اِرغَبوا في الأُمورِ الَّتي في العُلى، لا في الأُمورِ الَّتي في الأَرض، لأَنَّكم قد مُتُّم وحَياتُكم مُحتَجِبةٌ معَ المسيحِ في الله!"[1].

لتجاوز هذه التناقضات، يدعونا بولس إلى توجيه فكرنا وكلّ كِياننا نحو المسيح القائم من الموت. بالفعل، في العماد، نحن أيضًا قد مُتْنا وقُمْنا في المسيح. نستطيع أن نعيش "منذ الآن وإنْ ليس بعد" هذه الحياة الجديدة.

"اِرغَبوا في الأُمورِ الَّتي في العُلى، لا في الأُمورِ الَّتي في الأَرض"

نحن بالطبع لا نحصل على هذه الإمكانيّة مرّة واحدة للأبد، بل علينا أن نسعى دائمًا إليها في مسيرة تتطلّب التزامًا يدوم مدى الحياة. هذا يعني أن نصوّب حياتنا نحو العلى. فالمسيح حمل بالفعل حياة السماء إلى الأرض، ويُعتَبَر فِصحُه بدايةَ الخَلق الجديد، والإنسانيّة الجديدة. هذه هي النتيجة المنطقيّة لكلّ من يختار أن يعيش الإنجيل: إنّه اختيار يغيّر عقليّتنا كلّيًّا، ويَقلِب التنظيم والأهداف التي يقترحها علينا العالم، ويحرّرنا من القيود، جاعلًا إيّانا نختبر تحوّلًا جذريًّا. في الواقع، لا يُنَقِّص بولس من قيمة "الأمور التي في الأرض"، إذ منذ أن لمست السماءُ الأرضَ، مع تجسّد ابن الله، كلّ شيء صار جديدًا[2].

"اِرغَبوا في الأُمورِ الَّتي في العُلى، لا في الأُمورِ الَّتي في الأَرض"

---

[1] كولوسي 3، 1-3.

[2] راجع كورنتس 5، 17: "فإِذا كانَ أَحَدٌ في المسيح، فإِنَّه خَلْقٌ جَديد. قد زالتِ الأَشياءُ القَديمة وها قد جاءَت أَشياءُ جَديدة".

ما هي "الأمور التي في العلى"؟ كتبَت كيارا لوبيك. "هي القيَم التي أَتَى بها يسوع إلى الأرضِ والّتي تُميّزُ تلاميذه: المحبّة، الوئام، السلام، المغفرة، الاستقامة، الطهارة، النزاهة، العدالة... هذه كلّها فضائل وغنى يقدّمها الإنجيل. معها ومن خلالها يَثبُتُ المسيحيّون في حقيقة قيامتهم مع المسيح. [...]

ولكن كيف نحتفظ، ونحن نعيشُ في العالم، بقلب مُترسِّخ في السماء؟ نترك أنفسنا نهتدي بأفكار المسيح ومشاعره، هو المُتَّجِه دومًا بنظره الداخليّ صوب الآب، وحياتُه كلّها انعكاس لشريعةِ السماء، شريعة المحبّة"[3].

"اِرغَبوا في الأُمورِ الَّتي في العُلى، لا في الأُمورِ الَّتي في الأَرض"

إنّ المسيحيّين، بحضورهم في العالم، ينفتحون بشجاعة على حياة الفصح الجديدة. هم نساء ورجال جُدُد ليسوا من العالم[4] ولكنّهم يعيشون في العالم مع كلّ ما فيه من صعوبات. هذا ما كان يُقال عن المسيحيّين الأوائل: "يسكنون الأرض لكنّهم مواطنو السماء. [...] كما الروح في الجسد، هكذا هم المسيحيّون في العالم"[5].

الاختيار الشجاع والإنجيليّ لعامل قرّر أن يساعد زميلَه الذي صُرِف لتوّه من عمله، أحدث سلسلة من مبادرات أخوّة أتَتْ كثمرة لشهادتُه.

"وُزِّعَت في المصنع رسائل صرف من الخدمة، وواحدة منها موجّهة إلى جورجيو. كنت عارفًا بأحواله الاقتصاديّة السيّئة، فدعوته للعودة معي إلى مكتب الموظّفين وأعلنْتُ قائلًا: "أنا أفضلُ حالًا منه، زوجتي لديها عمل. اطردوني أنا بالأحرى". وعدَني المسؤول بأن يُراجع الحالة. عندما خرجنا، قبّلَني جورجيو وهو متأثّر. بطبيعة الحال، تمّ تناقل الخبر، وقام عاملان آخران هما في وضع يشبه وضعي، بتقديم نفسيهما مكان شخصين آخرين مصروفَين. فاضطَرَّت الإدارة إلى أن تُعيدَ النظر في طُرُق اختيار مَنْ تصرِفُهم من الخدمة. عَلِم كاهن الرعيّة بالأمر، فتحدّث عنه في عظة الأحد، من دون ذكر الأسماء. وفي الغد أعلمني بأنّ طالبَتَين حملتا إليه كلّ مدّخَراتهما من أجل العمّال المحتاجين، مُعلنَتَين: 'نحن أيضًا نريد أن نقتدي بمبادرة ذلك العامل'" (ب. س. – البرازيل)[6].

باتريسيا ماتزولا Patrizia Mazzola ولجنة كلمة الحياة

---

[3] كيارا لوبيك، كلمة حياة شهر نيسان/ أبريل 2001.

[4] راجع يوحنّا 15، 18-21.

[5] A *Diogneto* 5,5-6,1, in *I Padri Apostolici,* a cura di A. Quacquarelli, Città Nuova, Roma 2001$_2$, pp. 356-357.

[6] خبرة مأخوذة من موقع الفوكولاري الالكترونيّ www.focolare.org.